

مصر تتخلى عن حذرها في الرد على تركيا

محمد أبو الفضل
كاتب مصري



فشلت تصورات القاهرة بشأن إمكانية تراجع اردوغان عن غيئه، واخفقت إشارات اقتصادية متنوعة حول عدم المساس بمشروعات تركية بمصر في أن تفرض عليه التعقل، وتعامل مع التريث والحذر على أنهما ضعف، ما جعله يتعمد في التصعيد على أكثر من جبهة.

تبيقت القاهرة أن اردوغان لن يتخلى عن سياسته رغم ما يتكبد من خسائر، لأنها جزء من مشروعه، وإذا تخلى عنها قد ينهار حكمه، في وقت يعاني فيه من تفسخ داخل حزبه، وعراقيل خارجه، وربما تستثمر هذه اللحظة لتوجيه المزيد من اللكمات السياسية، بما يشئت انتباهه، ويردعه عن التركيز في استهداف النظام المصري.

سجلت القاهرة عددا من الأهداف في مرئي تركيا بشأن غاز شرق البحر المتوسط، ونجحت في تطوير علاقاتها مع دول رئيسية في المنطقة ومن خارجها، لها علاقة بملف الغاز، بشكل أدى إلى تضييق الهامش السياسي أمام أنقرة، وجعلها تلوح بالجوء إلى خيارات عسكرية لتحقيق أغراضها. الأمر الذي يحثه قوى دولية لها مصالح حيوية في شرق المتوسط. وفرض على أنقرة عدم التوقف عن التقلبات السافرة في بعض الملفات الإقليمية، جريا وراء مساومة هنا أو هناك تقلل مما تتكبد من خسائر سياسية واقتصادية.



**السياسة المصرية إذا واصلت
ربط تحركاتها بمدى ما يقع
عليها من أضرار ستظل تدور
في حلقة مفرغة، لأنها تمنح
الخصوم فرصة المبادرة وتوجيه
الدفة نحو الأهداف التي
يريدونها، وهو ما بدأت تنتبه
إليه جيدا**

يأتي القصف السياسي ضد تركيا من خلال دوائر عديدة، في سياق أشمل يتعلق بتوجهات ترى أن مصر بلغت مرحلة جيدة من الضخج في مجال الاستقرار يمكنها من الإمساك بزمام المبادرة والاقتراب من بعض الملفات الإقليمية التي مرجح أن تشهد تحولات مصرية في الفترة المقبلة، سوف تؤثر تداعياتها على البلاد، إذا استمر العزوف عن المشاركة بفاعلية في قضايا مهمة، أو واصلت التحرك على جبهات عدة، بعضها وصل حد التناقض، أو حافظت على ترددها في عدم حسم مواقفها من الملفات، وقد تكون كمن يريد أن يربح كل شيء، فيحسر كل شيء، لأن هذه السياسة أصبحت مزعجة لدول تعول على مصر أن تكون حليفا استراتيجيا قويا لها. الحاصل أن القاهرة مالت كثيرا نحو سياسة الخطوط المتوازنة والمعادلات المتوازنة، لأنها تتخلى عن حذرها المعهود عندما يرتبط الأمر بوقوع أضرار مباشرة عليها، فهي تحركت بقوة لمواجهة تركيا بعد أن بدأت ممارسات الأخيرة وشائعاتها المتباينة تجد أصداء إيجابية لدى البعض، وأبدت ملاحظات على أداء إتيوبيا أمام الأمم المتحدة في ملف سد النهضة عقب تيقنها من أن أدبيس نابيا لا تحصر تماما على التفاهم سريعا مع القاهرة.

وإذا واصلت السياسة المصرية ربط تحركاتها بمدى ما يقع عليها من أضرار ستظل تدور في حلقة مفرغة، لأنها تمنح الخصوم فرصة المبادرة وتوجيه الدفة نحو الأهداف التي يريدونها. وهو ما بدأت تنتبه إليه جيدا، بعد أن تكبدت خسائر كبيرة جراء التمسك بحذر مبالغ فيه، وتريث أوحى بالضعف، وتعبد ترتيب أوراقها بما يسمح باستخدام سلاح المبادأة مع دولة مثل تركيا، ربما تضطرها إلى التفكير ألف مرة قبل أن تقدم على تصرف يمس مصالح مصر.

لن تكون الانتقادات القاسية التي وجهتها القاهرة للرئيس التركي رجب طيب اردوغان استثناء في طريقة التعامل الجديدة مع أنقرة، طالما استمر في نشر الشائعات والتحريض عليها. فقد حمل بيان وزارة الخارجية المصرية مساء الثلاثاء الماضي، ردا عنيفا على ادعاءات اردوغان أمام الأمم المتحدة حول وفاة الرئيس الإخواني محمد مرسي، وبصورة لم تعدها دبلوماسية اعتادت الهدوء، لأن الرجل تجاوز كل حدود اللياقة والمنطق، وصمّم على الاستماع لصوته فقط. وذكرت القاهرة في رسالتها نقاطا جوهرية تمثل الدليل على عبثية حديث اردوغان عن العدالة أمام العالم. تعتبر اللغة الجديدة التي استخدمتها القاهرة مع اردوغان، عن غضب وضجر وإسعين من تصرفاته. وتؤكد أن سياسة ضبط النفس التي التزمت بها القاهرة، أملا في أن يعود الرئيس التركي إلى الصواب ويكف عن التدخل في الشؤون الداخلية، لم تعد مجدية.

وهذه من المرات النادرة التي تردّ فيها جهة رسمية بحدة وقسوة معا في السنوات الأخيرة على تصريحات لاردوغان أو غيره، وصلت فيها درجة اتهامه صراحة بالإرهاب والإنسار إلى جرائم حرب ارتكبها في حق شعبه ودولة مجاورة، هي سوريا. اتسمت إدارة ملف السياسة الخارجية في مصر عموما بتجنب التصعيد، وفتح الأبواب والنوافذ مع دول عديدة، في سياق رغبة في الانخراط أولا في همام الداخل وحل أزمات مترابطة قبل الشروع في الانتداب مع أي من القوى الإقليمية. لكن في حالة أنقرة تشابكت أزمات الداخل مع الخارج، لأن الرئيس التركي بات واحدا ممن يسخرون تصوراتهم الشخصية وأفكارهم العقائدية في إدارة العلاقات بين الدول، وهو ما ظهرت تجلياته مع مصر التي قررت التخلي عن سياسة رد الفعل بعد أن لإزمتها فترة طويلة، والتوجه نحو الهجوم وخبر وسيلة للدفاع.

وجهت بعثة مصر لدى الأمم المتحدة في نيويورك الأربعة، خطابا رسميا إلى الجمعية العامة للتحقيق في ادعاءات وفاة محمد مرسي، وهي أول ضربة دولية تريد ترقيع كلام اردوغان من معانيه. وقد تلتوها ضربات أخرى في ملف الأزمة الليبية، حيث تؤكد تفاصيل كثيرة تورط أنقرة في دعم ميليشيات ومتطرفين وإرهابيين ومرتبقة يعرقلون التسوية السياسية. وهناك الكثير من الأدلة الدامغة التي تثبت تورط أنقرة، والتي سيتم تفعيلها في الفترة المقبلة، باليات متباينة ربما لا تترك أمامها مفعدا ولعل دخول مفوضية الأمن والسلم التابعة للاتحاد الأفريقي، وترأس مصر الدورة الحالية للاتحاد، على خط الأزمة الليبية من بين الأوراق التي ستقوم القاهرة بتفعيل دورها قريبا، وتصدى للدول التي ساهمت خروقاتها في استمرار تعثر عملية التسوية السياسية، وفي مقدمتها تركيا، التي وجدت في إجراءات البعثة الأممية إلى ليبيا ملاذا لمواصلة اعتداءاتها. لدى مصر معلومات كثيرة حول طبيعة العلاقة التي تربط قيادات إسلامية ليبية تقيم في إسطنبول، وصفقات تم عقدها سرا مع شخصيات نافذة في حزب العدالة والتنمية الحاكم، وحجم رؤوس الأموال النشطة والخاملة في البنوك التركية، والتي ورثتها حكومة الوفاق من العهد السابق، والكثير من العناصر الإرهابية التي نقلت من الأراضي السورية، ومنها إلى تركيا ثم إلى الأراضي الليبية. وبعضها أسماء موضوعة على لوائح إرهاب دولية، إذا تم الإفصاح عنها وتقدمها إلى الأمم المتحدة سوف يجد الرئيس اردوغان نفسه في مارتق بالغ الحساسية، ويضاعف من خسائره في الصراعات التي قرر الانخراط فيها.

الاحتجاجات في مصر تنعكس حرب أنباء كاذبة حامية الوطيس



نشر مستخدمون لموقع فيسبوك صورة مفبركة يظهر فيها السيسي وهو يسير متقدما على رئيسي الصين شي جين بينغ وروسيا فلاديمير بوتين، في حين أن الرئيس المصري يظهر في الصورة الأصلية، التي التقطت عند افتتاح "منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي"، في الطرف الأيمن إلى جانب الرئيسين وليس أمامهما.

ناشرة الأصلي من نشرة أخبارها، وهو لا يتضمن المشاهد المنشوبة إليها، بل يواصل المذيع تقريره فيتحدث عن تظاهرات في محافظة سيناء. عند افتتاح "منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي" الثاني في بكين في 26 أبريل 2019 بمشاركة رؤساء دول وشركات ومنظمات من العالم لبحث هذه المبادرة الصينية الضخمة لمشاريع البنية التحتية في العالم. وفي المقابل، تداول المثات من المستخدمين على مواقع التواصل تظاهرة ضخمة على أنها جرت في ميدان التحرير بوسط القاهرة مساء السبت 21 سبتمبر 2019 للمطالبة برحيل السيسي، ولو أن اللافقات المرفوعة فيها تحمل صورة للسيسي، ما يشير إلى أن التظاهرة مؤيدة له.

وعثر فريق تقصي صحة الأخبار على الصورة نفسها منشورة في مواقع إخبارية مصرية مرفقة بتاريخ 28 يناير 2015، ما يثبت أنها استخدمت مؤخرا بشكل مزلزل. وتحركت الاحتجاجات الأخيرة في مصر استجابة لمقاطع فيديو نشرها المقاول المصري محمد علي على فيسبوك من مقر إقامته بإسبانيا، واتهم فيها السيسي وبعض قيادات الجيش بالفساد.

زاد من حرارة الجدل التفاعل على مواقع التواصل الاجتماعي. ونشر مصور نال أكثر من 14 ألف مشاركة على مواقع التواصل، على أنه مسرب من طائرة السيسي، في حين أنه في الحقيقة مقطع دعائي لشركة أميركية لتجهيز الطائرات. وعثر فريق تقصي صحة الأخبار في وكالة فرانس برس من خلال البحث بواسطة كلمات مفتاح تتضمن اسم الشركة، على نفس المنشور وجزء منه على أنه للطائرة الرئاسية المصرية، وهو في الواقع مقطع دعائي للشركة نشر في ديسمبر 2018.

في سياق تضارب الصور، نشر مستخدمون لموقع فيسبوك صورة يظهر فيها السيسي وهو يسير متقدما على رئيسي الصين شي جين بينغ وروسيا فلاديمير بوتين، معلقين عليها "رؤساء اكبر وأعظم دولتين في العالم... ماشين وراك يا سيسي"، وقد حصدت الصورة الآلاف من المشاركات على عدة صفحات. لكن البحث عن الصورة عبر محرك "Yandex" أرشد إلى الصورة نفسها، ويظهر فيها السيسي في الطرف الأيمن

"الجزيرة" عن تظاهرات مصر، تليه مشاهد يظهر فيها جمع من الأشخاص يصورون بواسطة هواتفهم، فيما تسمع هتافات ضد السيسي.

**طلفت على تغطية
الاحتجاجات في مصر معركة
أبناء كاذبة بين المعسكرين
المؤيد للنظام والمعارض
له، على وقع صور مركبة
ومقاطع فيديو ملفقة
تدعم فريقا ضد الآخر**

وبعد ذلك، يرّد شريط مكتوب في أسفل المقطع، يؤكد أن المشاهد المقولة مركبة وتعود إلى ما قبل تظاهرات مصر، وهي تصور جمهور المغني ذي الشعبية الواسعة في مصر. ويلي ذلك الفيديو الأصلي وهو خال من الهتافات ويظهر في أوله محمد رمضان. وكتب المغني معلقا على المنشور "عتابي على قناة الجزيرة عرض فيديوهات قديمة لجمهوري على أنها مظاهرات في مصر". وردت "الجزيرة"

التي تعاملت به السلطات المصرية مع الاحتجاجات التي شهدتها شوارع القاهرة وبعض المدن المصرية، معركة أنباء كاذبة حامية الوطيس بين المعسكرين المؤيد للنظام والمعارض له، على وقع صور مركبة ومقاطع فيديو ملفقة تدعم فريقا ضد الآخر. واشتدت الحماسة في هذه الحرب بدخول وسائل إعلام خارجية على خط التخمية. وشهدت مصر الجمعة 20 سبتمبر تظاهرات محدودة في مناطق مختلفة سرعان ما تم تفريقها، ثم تجددت بحجم أقل الجمعة الماضي في عدد من المناطق وقابلها جمع لآلاف من أنصار الرئيس في القاهرة لاستقباله وهو عائد من نيويورك.

ومع الاصطفافات الإقليمية، تتخذ بعض هذه الأنباء الكاذبة أبعادا خارج مصر، لاسيما ما نشره المغني المصري الشهير محمد رمضان ونسبه إلى نشرة أخبار قناة "الجزيرة" القطرية مدعيا أنه كاذب. وتداول المنشور الآلاف من المستخدمين والصفحات المؤيدة للسيسي على مواقع التواصل. وينقل الفيديو الذي نشره رمضان في 22 سبتمبر 2019 على حسابه على فيسبوك وتويتس، مقطعا من نشرة أخبار

الوضع «يستاهل» يا سيادة الرئيس

الآن يمكننا أن نجيب على سؤال لغز، من جاء قبل الآخر البيضة أم الدجاجة؟ الفشل أم الإسلام السياسي؟ عندما كانت الدولة الإسلامية في أوج ازدهارها وكان الإسلام في أوجه، لم يكن هناك إسلام سياسي، وعندما انهارت الدولة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت أمة الإسلام فاشلة، ظهر الإسلام السياسي.

السيسي، اعتبر في حديث له مع الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، أن المنطقة ستظل في حالة عدم استقرار، طالما مازال هناك إسلام سياسي يسعي للسلطة. ترامب، قد لا يرى المشكلة من نفس الزاوية التي ينظر منها السيسي لأزمات المنطقة. كان الأجدد بالرئيس المصري أن يقول إن المنطقة ستظل مهددة بمد الإسلام السياسي طالما، بقيت دولها فاشلة، خاصة على الصعيد الاقتصادي، وعاجزة عن حل مشكلة الفقر والجوع والبطالة وتأمين الرعاية الصحية والاجتماعية، للجميع دون استثناء، والقضاء على مشكلة الفساد والرشوة، في القطاع العام والخاص. طالما لم تنجح الدول في تقديم الحلول لتلك المشاكل، سيكون هناك ألف سبب للقلق، وسيكون الأمر "مستاهل تماما". لكن عندما يتحقق النجاح وتقدم الحلول، لن تكون هناك مبررات لصعود حركات الإسلام السياسي، عندها فقط سيقبى الإسلام ويغيب السياسي.

ظهور الإسلام السياسي بالمستوى الاقتصادي المتدني لمعظم دول العالم الإسلامي، وكان هذا سببا لانتشار الأفكار الاشتراكية مع بداية الأربعينات، بتأثير من الاتحاد السوفيتي، حيث جرت عملية تسويق لتلك الأفكار على أنها الحل الأمثل للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية. إلا أن فشل الأنظمة التي تبنت الاشتراكية وطبقت التاميم، سوريا ومصر والجزائر وليبيا نموذجا على ذلك، فتح المجال أمام الإسلاميين لطرح الإسلام بدلا، تحت شعار "الإسلام هو الحل".

ترامت هذه التغيرات مع نشوء الحركة القومية العربية، بتأثير من القومييين العرب، وجمال عبدالناصر، وحزب البعث العربي الاشتراكي. لم تدم تجربة القومية طويلا، لتنتهي إلى الفشل. وتبعها الإطاحة بشاه إيران وإعلان الجمهورية الإسلامية، والتدخل السوفيتي في أفغانستان، وصعود ضياء الحق إلى السلطة في باكستان، وحرب الخليج الثانية. تلك عوامل، مجتمعة، ساهمت بما سمي "صحوّة" الإسلام السياسي، خلال فترة الثمانينات والتسعينات، لتأخذ تلك الصحوّة طابعا عنيفا في الجزائر وسوريا وفلسطين والسودان ونيجيريا، وكانت الطامة الكبرى صعود حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان، وظهور تنظيم القاعدة بزعامة، أسامة بن لادن، ليبدأ فصل طويل من استخدام العنف

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

الدعوات إلى التظاهر لا تلقى الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، ولا تعلم إن كان هذا مجرد كلام أريد منه بث الطمأنينة في قلوب المصريين، أم حقيقة يؤمن بها السيسي، الذي أكد أن "الوضع مش مستاهل خالص". وحسب الرئيس المصري، فإن الإسلام السياسي هو المسؤول عن الاضطرابات التي حدثت وتحدثت في المنطقة. الاتهام وإن كان صحيحا إلا أنه يخفي حقيقة يجري تجاهلها دائما. دعونا نطرح بعض الأسئلة: متى ظهر الإسلام السياسي؟ وفي أي مكان كان ظهوره الأول؟ وما هي العوامل التي أدت إلى ظهوره، ومن ثم تحوله إلى ظاهرة إرهابية مقلقة، للمنطقة وللدول العالم أجمع؟

الإسلام السياسي بدلالاته الحالية، ظهر إثر انهيار الدولة العثمانية، بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، وقيام كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية، يوم 3 مارس عام 1924، ملغيا الاعتماد على الشريعة الإسلامية في المؤسسات التشريعية.

هذا يجيب على متى، أما لماذا، فإن الإجابات عليها عديدة، هناك الكثير من المفكرين الذين يربطون بين